



عندما فشلت مفاوضات الحل السياسي في "جنيف3"، بُرِزَ للوجود حاجة الجميع للأدوات العسكرية لترسيخ وجودها وتأكيد ثوابتها ومصالحها، وشكلت تلك الأطراف ضغوطاً متزايدة على طرفي الحل المتمثلين بالدولتين العظميتين الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا.

روسيا كانت أول من فعلت وصعدت بأدواتها العسكرية عبر شن حملة جوية قوية وشرسة وغير مسبوقة، كانت استمراً لجهودها القتالية والتي تصنف تحت عنوان "تغيير موازين القوى على الأرض"، وخلق واقع جديد ينسف كل مبادئ "جنيف1" المعتمدة في إطار أي حل للقضية السورية، والتي لا تتوافق مع المساعي الروسية ولا تخدم أجنداتها في المنطقة، وبالتالي وجدنا مئات الغارات الروسية التي أحرقت بلدات وقرى شمال حلب وجبلی الأكراد والتركمان، وتكثفت تلك الهجمات بحيث استطاعت فك الحصار عن بلدي "نبل والزهراء"، ومن ثم أوكلت المهمة لحليفتها من ميليشيات "سوريا

الديمقراطية" لمتابعة تنفيذ المهمة على مقربة من الحدود التركية، ضمن إستراتيجية السيطرة على الحدود، وفصل الداخل السوري وفصائل الثوار عن التواصل مع الجانب التركي، وبشقها الآخر تخدم خيار التقسيم، وتأمين الكانتون الكوردي على الحدود الشمالية السورية، بعد أن تم تأمين حدود سوريا المفيدة "الدولية العلوية" بمعارك الجبهة الساحلية.

تركيا من جانبها والتي استشعرت بالخطر ليس فقط على خطوطها الحمراء التي طالما ترددت على لسان مسؤوليها بل حتى على أنها القومي، كون إنشاء وترسيخ كانتون كوردي على الحدود الجنوبية سيضع تركيا ليس في حدود الخطر بل في مركز دائرة الخطر، وبالتالي وجدها الجيش التركي يبادر لفتح نيران مدفعته على الميليشيات الكوردية الانفصالية التابعة لزعيمها "صالح مسلم" و"هيثم مناع" رغم نشر روسيا لأسراب من طائراتها المقاتلة في القواعد الجوية الأرمنية كنوع من التهديد، ولتعلن تركيا مواجهة شديدة مع الولايات المتحدة الأمريكية وصلت لحد تخدير واشنطن بتحديد علاقتها ووقفها إما إلى جانب تركيا أو إلى جانب تلك الميليشيات التي تعتبرها أنقرة الذراع العسكري لحزب العمال الكورديستاني الموضوع على قوائم الإرهاب التركية والغربية.

المملكة العربية السعودية التي شعرت أن إفشال الحل السياسي في سوريا من قبل النظام وحلفائه، والسعى الإيراني إلى العبث بمكونات أساسية من مفردات الأمن القومي العربي، وخطورة توغلها في ثابتاً الداخل السوري، بعد أن أفسدت (إيران) وقامت بالكثير من محاولات تخريب الأمن الداخلي لبلدان عربية تحيط بالرياض، بدأت في مملكة البحرين وانتقلت لدولة الكويت ومن ثم امتدت لليمن عبر خلايا وأفراد وغير الحوثيين، وكانت من قبل قد استولت على العاصمة "بغداد" و"بيروت"، واستشعرت المملكة السعودية أن استكمال تلك السياسة الإيرانية وعبر دعم روسي بالسيطرة على دمشق يأتي في نطاق الخطر على أمن العرب بشكل عام وعلى أمن المملكة بشكل خاص، لذلك وجدها الصوت السعودي يرتفع، ويتشكل على عجل التحالف الإسلامي بقيادةولي العهد ، وتُعلن مناورات رعد الشمال، ووصل بها الحد للإعلان على لسان وزير خارجيتها الدكتور "عادل الجبير" عن إمكانية تسليم فصائل الجيش الحر المضادات الجوية التي يعلم الجميع أنها قادرة على قلب التوازنات العسكرية وتسريع رحيل نظام الأسد ونسف كل الجهود الروسية لتعويض نظام الأسد مرة أخرى.

دول أوروبا التي حاولت الابتعاد والتظليل بالموقف الأمريكي، وجدت نفسها في قلب المعركة عبر مفرزات المعاركة وانعكاساتها، والتي تمثلت بأمواج مئاتآلاف اللاجئين الذين وصلوا عواصمها بحراً وهددوا استقرارها، وبالتالي صدحت أصواتهم مطالبة عبر الصوت الألماني بمنطقة حظر جوي وبمنطقة عازلة عبر الصوت الفرنسي.

أمام تلك الضغوط التي مُورست وأمام مناظر الدمار وقتل الأطفال والنساء على يد الطائرات الروسية والميليشيات الحليف للأسد، وأمام تشريد عشراتآلاف السوريين المدنيين (مؤخراً) والذين منعت تركيا عبورهم الحدود وتجمعوا على البوابات التركية، وجدت كلًّا من "موسكو" و"واشنطن" أن الأمور بدأت تخرج من عقالها، وأن المنطقة ككل وليس سوريا فقط قابلة لحالة انفلash وحالة تشظي قد تطيح بأمن واستقرار كل الدول المحيطة، وبالتالي وجدها تسارعاً وزخماً سياسياً ودبلوماسياً (أمريكيًّا روسياً) وتواتر لقاءات غير مسبوق للبحث عن مخرج يمكن أن يهيء لاستعادة ضبط إيقاع التحركات وإعطاء الضمانات من إمكانية إيجاد الحل.

الهدنة التي تم التسويق لها قد تكون بنظر الراغبين حلاً يحقق سياستهما في المنطقة، لكن من المؤكد أنها لم تلبِ ولم تقنع معظم الأطراف باستثناء نظام "الأسد" الذي يعتبر أن أي حل يبقى ولو مرحلياً في سدة الحكم هو مكسب ومحنة يسعى للوصول إليه لأنه يدرك أنه يعيش في لحظات الوقت الضائع.

الهدنة التي أعلنها الوزير "كيري" وبالتوافق مع "لافروف" ويعيناً عن مفرداتها التي أصبحت معروفة للجميع، استثنى من

القصف كلاً من تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) وجبهة النصرة وفصائل أخرى تصنف إرهابية وفق مقاييس مجلس الأمن، دون أي ذكر لميليشيات الفاطميون والزيبيون والنجاء وحزب الله وفيلق القدس وكل المرتزقة التي استقدمتها إيران والمصنف معظمها على قوائم الإرهاب الدولية.

الهدنة الحالية من أي مخالف يمكن أن تعطيها قوة الاستمرار والصمود أيضاً لم تتمكن من تحديد آليات التنفيذ أو آليات الرقابة والفصل ولم تتوارد فيها آليات الضرر والعقوبة بحق ناخصي بنودها، وبالتالي وجدها عودة الأصوات الغربية قبل المعارضة لتشكك بإمكانية صمود وترسيخ تلك الهدنة، فالمعارضة طالبت عبر هيئتها التفاوضية بالبدء بتنفيذ مقررات مجلس الأمن المتفافق عليها كدليل صدق على التنفيذ وأهمها إطلاق سراح المعتقلين وفك الحصار عن المناطق المحاصرة وتؤمن طرق آمنة للمساعدات الإنسانية للمدنيين، مع التأكيد على ضرورة الالتزام الروسي قبل النظام بوقف كل أشكال القصف المدفعي والثقيل والطيران على كامل مناطق تواجد المدنيين وفصائل الثورة السورية، وعلى أن تبدأ تلك الهدنة بعد تشكيل هيئة الحكم الانتقالي كما نص عليه بنود القرار 2254 في بند الرابع.

الهيئة التفاوضية حذرت من اتخاذ ذريعة قصف جبهة النصرة من قبل روسيا في مضمون بنود الهدنة لإعادة التعرض لكل فصائل الثورة، باعتبار أن فصائل جبهة النصرة متغلبة بكل الجبهات، وبالتالي العودة لنفس السيناريو الروسي منذ التدخل في سوريا وعودة القصف الروسي ولكن تحت مظلة شرعية دولية، وبقرار من مجلس الأمن والوقوع بالمحظور والفعن الذي نسبه مشروع تلك الهدنة الدولية.

حتى الآن الجميع يدعى القبول والموافقة المبدئية كما قالت المعارضة السورية التي شعرت بالإهانة بعد أن أعلن الوزير “كيري” عن اتفاق الهدنة قبل اجتماع الهيئة التفاوضية لاتخاذها قرار القبول أو الرفض وكان موافقتها تحصيل حاصل لأن زور له، لكن من الواضح أن كل حلفاء النظام تعد العدة لطرق الالتفاف على بنود تلك الهدنة، النظام من المؤكد أنه أكبر الخاسرين بأي وقف لإطلاق النار ويستشعر بالخطر لأن أيّاً من تلك الحلول سيشكل بداية النهاية لاستمرار وجوده ولكن لا خيارات متاحة له.

روسيا تجد بينود الهدنة استمراً لجرائمها وقتلها إنما بشرعية وتحت سقف الضوء الأخضر للقانون الدولي وتبادل الخرائط مع واشنطن وعزل جبهة النصرة تعتبرها انتصاراً يحسب لها.

فصائل المعارضة تشعر بأن الهدنة هي فخ دولي سيكشف مواقعها ويفتك مفاصيلها ويضعف تواجدها ولا تملك البديل، لأن الوقوف في وجه المجتمع الدولي وحيدة إلا من دعم بعض الأوفياء ليس خياراً صائباً.

يقولون الضغط يولد الانفجار ... وانفجار السوريين لا شك قادم ... فهل يتدارك أصحاب القرار بمدى الأخطاء القاتلة التي تضمنها قرار الهدنة ووقف إطلاق النار، أم أن سياسة طمر رأس النعامة بالتراب تبقى هي سياسة من لا سياسة له في معظم عواصم الغرب؟؟؟

ننتظر ... لكن هذا الانتظار يمضي على دماء وأرواح السوريين ...

المصادر: